لحن لم يتم

بقلم: ب. ب. مهتا

قرأنا في رسالة من الهند بعث بها «جون لافاتشيك» أن تعدد الأزواج هو من العادات المألوفة لدى بعض القبائل الجبلية على حدود الهند الشمالية.. ولكن من حسن الحظ أن عدد أفراد هذه القبائل لا يتجاوز مائة ألف. وتبذل الحكومة الهندية قصارى جهدها الآن لتبصير هذه القبائل بمزايا المدنية. وأخذ المصلحون يجوبون أنحاء المناطق الجبلية الشمالية لإنهاض سكانها اجتماعياً واقتصادياً.

ويأمل هؤلاء المصلحون أن يؤدي رفع مستوى المعيشة بين القبائل إلى إقلاعها عن عاداتها الموروثة واقتناعها بعدم تعدد الأزواج، ولكن الزعماء السياسيين في الهند يعتقدون أن تعدد الأزواج عادة تأصلت بين أهل القبائل الجبلية في شمال الهند، ولابد من انقضاء وقت طويل قبل أن يقلعوا عنها.

وقد أقرت الأساطير الهندية القديمة عادة تعدد الأزواج، فقد ورد في «المهابهاراتا» – تلك الملحمة الشعرية العظيمة – أن «أرجونا» ثالث أبناء الملك «باندو» الخمسة، فاز «بدروبادي» إبنة ملك بانشالا. بأن أطلق خمسة أسهم داخل حلقة ضيقة معلقة في الهواء، ولكن أمه قالت له إن كل شيء يجب أن يكون مشاعاً. وهكذا اقترن الأخوة الخمسة بالفتاة، وعاشوا جميعاً في قصر واحد.

ولتعدد الأزواج في تلك المنطقة مزاياه الاقتصادية، ذلك أن قوانين الوراثة في الهند تقضي بتقسيم الأملاك بين جميع أفراد الأسرة، ولكن تعدد الأزواج في مناطق الشمال الجبلية – حيث المواد الغذائية قليلة –

يساعد الأسر على الاحتفاظ بأملاكها كاملة عدة أجيال، كما أنها تقلل عدد الذراري في كل جيل.

وفي عهد الحكم البريطانيكانت قبائل جوانسواريس التي تمارس عادة تعدد الأزواج، تعد من القبائل المجرمة التي لا يجوز لها الاتصال بسائر الهنود، ولكن الحكومة الهندية الحاضرة تحاول إخضاع هذه القبائل للقانون وإرغامها على الإقلاع عن عوائدها الموروثة.

وقد جرت العادة أن يتزوج الإبن الأكبر فتصبح زوجته زوجة لجميع إخوته.

وتتمتع المرأة بإخلاص أزواجها جميعاً، ولكل زوج وظيفته. فيقول الابن مثلاً: «أبي الذي يدير شئون البيت، أو أبي الذي يرعى الأغنام، إلخ...».

ولكن أفراد هذه القبيلة يتناقصون بسرعة عجيبة.. وكان عدد مواليدهم في العام الماضي كله مولوداً واحداً، ونسبة عدد الرجال إلى عدد النساءكنسبة أربع إلى واحد!.

والقصة التالية مستوحاة من عادات هذه القبيلة.

كان الجو بارداً.. والريح الشديدة المحملة بحبات الجليد تعصف كالقضاء العاجل، وتقصف كالرعد الصاخب، أو تزمجر كالوحش الهائج.. وتنطلق في الفضاء الواسع فوق تلك الهضبة المترامية الأطراف،

المنعزلة عن العمران، الرابضة فوق جبال الهملايا التي كادت تبلغ برءوسها عنان السماء!.

البرودة قاسية حادة كحد السيف.. والأعاصير مصطخبة مجنونة كثور هائج أطلق من عقاله، مندفعة كجيش من العمالقة الشياطين..

لم تكن هناك شجرة واحدة، ولا صخرة واحدة، ولا حتى دابة أو حيوان يعترض هجوم ذلك الإعصار البارد الجبار.

ووقفت «لاي» في مواجهة هذه الريح الثائرة، وقد غطت قطع الثلج قبعتها الجلدية وأكتافها، أو كادت، وبلل الجزء الأكبر من ثوبها الذي استطال طرفه حتى أوشك أن يغطي قدميها.. وحولها القمم المرصعة بالثلوج تطل برءوسها البيضاء على المنحدرات الممتدة أمامها، بينما ظهر على مبعدة، عند الأفق، ذلك المخروط الهائل الذي يعرف بـ «كيلاش».. لقد صار جبل الذكريات!.

كانت «لاي» في سن العشرين.. ولكن مسحة الكآبة التي ترتسم في عينيها الضيقتين تترجم قصة طويلة قديمة.. أقدم من سنها الحديثة.

أطلقت لاي تنهيدة عميقة ارتجف لها بدنها.. ولكن هل يكفي هذا لأن يزيل أحزانها أو يخفف من آلامها؟.

لقد عادت تطيل النظر، وحيدة، إلى الأفق الملبد بالغيوم.. أهي تحلم بالمستقبل أم تعود بذاكرتها إلى الوراء لتقلب الصفحات القديمة

المنسية من حياتها.. لقد تذكرت في وسط سهومها أن عليها أن تجمع الغنم قبل أن يحل الظلام ويوغل المساء، ولكن سرعان ما أقنعت نفسها بأنها لن تضطر إلى ذلك فهي مطمئنة إلى أن غنمها قد اعتادت أن تتجمع وتتبع الواحدة الأخرى إلى مكانها المعلوم، في الموعد المناسب.. وسرحت من جديد، تحدق في الأفق البعيد.

هذه هي حالها اليوم.. وهي تختلف عن حالها بالأمس.. في عهد الطفولة.. يا له من عهد سعيد، مضى وانقضى.

كانت هي الابنة الوحيدة لوالديها، وكانا شديدي الحنان والحدب عليها، شديدي العناية بها حتى كانا يحولان دون أن تمتد البرودة أو قطع الجليد إلى خديها المتوردتين، وتجعل الزرقة القاتمة مكان اللون الجميل.. وكانا يطهوان لحوم الضأن المختارة كلما ساقا أمامهما قطيع الغنم في رحلاتهما وراء الكلأ والمراعي، ويخصانها من كل ذلك بالنصيب الأوفى.. لم يدعاها بمفردها قط.. كانا يذهبان مع أفراد الأسر المجاورة، بحثاً عن الحشائش وفي كل مرة يبتعدان فيها عن البيت يوصيان الصبي «جوتام» ابن الجيران بأن يذهب إلى «لاي» ويبقى معها، حتى لا تحس بوحشة.

كانت أمها تقول لها:

– لاي؟.

– نعم، يا ماما.

– الطعام واللبن هناك، في ذلك الركن.. لا تنسي أن تأخذي منهما، لك ولجوتام.

– حسناً.

– ولا تذهبي إلى خارج البيت لئلا تضلي الطريق.

وتجيب الصبية:

– أجل ياماما.

فتعود تخاطبها موبخة محذرة:

– هكذا تقولين دائماً، ولكنك تذهبين مع جوتام بعيداً عن البيت، ولو أن الشيطان الثلجي رآكما لوثب عليكما وابتلعكما في جوفه!.

وتقول الصبية:

– حقاً حقاً.. لن أذهب إلى الخارج..

وعندئذ تدعها أمها وتذهب..

***

إن «لاي» حتى الآن، لا تدري لماذا تركت «جوتام يمسها، عندما رغب في ذلك.. ولكنك في هذا العالم لن تستطيع أن تجد سبباً لكل شيء تصنعه.. إن الحوادث تقع وأنت تتفرج فقط، لا تملك منعها ولا

تعليلها، في ذلك اليوم ذهبت لاي وجوتام ليستحما في النبع القريب.. وكان جوتام حينئذ في السابعة عشرة من عمره.. وعندما وصلا إلى الماء ضرب جوتام صفحة الجليد البيضاء بعصاه، فانفرج عن الماء الصافي الرقرار، واندفع كلاهما في العين الباردة.. وعندما خرجا من الماء كانا كقصبتين في مهب الريح، تصطك أسنانهما من البرد.. وكشأن رعاة التبت الذين لا يملكون مناشف ولا ملابس، جعل كل منهما يدلك جسم الآخر بيديه ليجف.. ولم تفهم «لاي» لماذا أخذ جوتام يحملق فيها كالسكران الذي أحمرت عيناه.. ولم ترنح إلى نظراته، وقالت تنهره:

– جوتام، لا تنظر إلى هكذا!.

وأجابها بخجل وقد أفاق إلى نفسه:

– أوه، لا بأس!.

وابتسمت «لاي» ابتسامة عذبة.

لم تكن «لاي» تعلم، عندما أخذ جوتام يدلك جسمها بيديه، هابطاً بهما من رأسها إلى خصرها، إنها لا ينبغي أن تسمح بذلك.. وهي حتى الآن لا تدري لماذا لم تفعل!.

ومرت تلك الفترة السعيدة سريعاً، كاللحظات السعيدة دائماً، ولم تمتد أكثر من شهرين اثنين.. ثم جاء فصل الصيف، وقدم إليهما ضيف عزيز، رحب به والداها أجمل ترحيب وأكرماه كل الإكرام، كما هي عادة

القوم في تلك الجهات النائية.. وكان هذا الضيف يقتني الكثير من قطعان الغنم، وكان له خمسة أخوه كلهم سعداء.. فأي فرصة مواتية هي خير من هذه الفرصة ينتهزها الوالدان لتزويج ابنتهما «لاي»؟.

وهكذا تزوجت «لاي»، في فصل الصيف، وذهبت مع زوجها إلى قريته النائية.

وحسب العادات والتقاليد المعمول بها في ذلك الجزء المنعزل من العالم، أصبحت لاي زوجة لهذا الراعي ولإخوته الخمسة أيضاً!.. وكان عليها وفقاً لعادة القوم أن تعد الطعام لأزواجها الستة، وأن تطعمهم، وتخدمهم وترعى شئون بيتهم!.

ولكن لاي على كل حال، بحكم العادة أو خلافاً للعادة، إنسان من البشر قبل كل شيء، ولم يكن في استطاعتها أن تحب جميع الأخوة بدرجة متساوية.

لماذا؟ إنه ليس لديها القدرة ولا البراعة لكي تبحث عن السر في ذلك.. في اليوم الأول ذاته، عندما رأت منزلها، الذي لم يكن إلا عبارة عن خيمة حقيرة، ورأت فيه هؤلاء الرجال يصطفون متجاورين في انتظار الطعام، لم تملك نفسها إلا أن تنظر إليهم نظرة المستنكف المتضرر.. كانوا يجلسون في هدوء، ولكن صورتهم لا تروق العين.. كانت أذقانهم وجباههم سوداء من طول التعرض للبرد والصقيع.. وكانوا فوق ذلك من

الوزن الثقيل.. مترهلي الأبدان، كل منهم يحملكتلاً من اللحم المكتنز موزعاً على كرشه وأجزاء جسمه المختلفة.

ولم تستطع لاي إلا أن تقارن بين هؤلاء الرجال الستة وبين «جوتام».. يا لها من فكرة عجيبة وخاطر غريب!.. لقد جهدت أن تطرد هذا الخاطر من مخيلتها، وحاولت أن تركز أفكارها في أشياء أخرى.. ولكن ماذا يستطيع المرء أن يفعل مع أفكاره إذا هي أبت إلا أن تخطر على البال متى تشاء، وكيف تشاء؟!.

كانت العادة تقضي بأن تقيم معكل من هؤلاء الستة مدة أسبوع.. وقد خطر لها وهي تستعرضهم أن تقارن بعضهم ببعض.. هذا الفتى «تالو» لا عيب فيه.. كم تود أن يكون هو أول واحد فيهم يقيم معها!.

ولكن، ما كل ما يتمناه المرء من حياته يدركه!.. إن «لاي» لم يكن في استطاعتها أن تخفي تحيزها للزوج «تالو».. لقد خيل إليها أن الغزال قد يعبر عينيه أحياناً لبعض الرعاة!.

ومضت الأحوال كما اتفق لها، لا كما أرادت.. وذات ليلة جاء دور أكبر الإخوة.. الذي أخذ يرفع عن يديه قفازه الجلدي، ثم قذف به في ركن الغرفة ودعاها قائلاً:

– لاي..

وأجابت بغير اكتراث!.

- نعم..

وقال بلهجة الأمر:

- تعالي..

ولكن لاي لا تستطيع أن تقترب منه، أو ترتمي في حضنه، لقد ازورت عنه ونأت بجانبها، منصرفة إلى ما يشغلها من عمل.

وذهب هو إليها..

وأمسك بها في عنف، وأدار وجهها نحوه وهو يقول:

- التفتي إلي..

وصرخت قائلة:

- لا، لا..

- إذن خذي.. خذي.. خذي.. خذي..

وصفعها بكفه الضخمة أربع صفحات قوية على خديها.

والتهب وجهها من الألم.. واخذت تصرخ، وتنتحب.

فصاح بها:

- أستكي..

واشتعل بالغضب، وأمسك بها من شعرها وجرها نحوه.. وبعد نصف ساعة، عندما زايلته ثورة الغضب، اقترب منها وقال معاتباً:

– أكنت ضربتك لو أنك سلكت معي كما ينبغي؟!. إنك تعنين بتالو وبطعامه، فلماذا لا تفعلين ذلك معي؟!.

ولكن هذا الدرس القاسي كافياً لأن يعلم لاي أن تكون حذرة متيقظة في علاقتها بأزواجها، وأن تتظاهر بالحب والاهتمام لكل واحد منهم.. على حدة.

وأصبحت بعد ذلك كلما أمضى هذا الزوج المسن معها أسبوعاً لم تذق الصفعات خلال الأسبوع إلا مرتين أو ثلاثاً!.

***

كان «تالو» نائماً ذات ليلة في تلك الخيمة التي لم يزد ارتفاعها على ثلاثة أقدام... وفتح عينيه ثم ناداها قائلاً:

– لاي..

وهرولت نحو فراشه وأجابت!.

– نعم يا تالو..

– أظنه قد ضربك كثيراً، أليس كذلك؟.

وكان بذلك يشير إلى أخيه الأكبر.

وقالت «لاي»:

– نعم، ومن غير سبب!.

– ها ها!.

وأخذ يفكر.. ومرت دقائق ساد فيها الصمت..

وعادت لاي تقول، بلا أمل:

– لماذا لا تتكلم معه في هذا؟!.

وتنهد «تالو»، وأجاب:

– لا يا لاي.. لا شيء يمكن عمله في هذه الحالة.

ومضت نصف ساعة، ساد فيها الصمت مرة أخرى، وفجأة تكلم «تالو»:

– لاي..

وقفزت لاي نحوه وقالت:

– نعم؟.

– لقد انقضى وقت طويل منذ أن كنت تضعين الزيت في شعرك، وتعنين بتصفيفه.

قال هذا، وأخذ يداعب شعرها بأنامله، ويسلكها بين ثناياه وابتسمت في دلال، لقد استبد بها الحنين إلى تلك الأيام الهانئة التي كانت تمضيها وهي في بيت أبيها..

والتفتت إليه وقالت:

– لقد انقضى الآن نحو ستة أشهر.. ومنذ أن غادرت بيت أبي لم أعد أستعمل زيت الشعر.. حتى المشط قد ضاع مني في مكان لا أعرفه!.

– هل تعرفين أن السوق التي تزور هذا المكان كل عام، ستقام قريباً.. وحينئذ سنذهب إليها، وتشترين أنت زيتاً لشعرك، ومشطاً، ومرآة إذا شئت؟..

– حقاً؟.. وأستطيع أن أشتري حتى المرآة؟..

وأضاء وجهها بالفرحة..

– نعم، مهما يكن مقدار الصوف الذي نبادل به!.

***

اعتاد تجار «بوهوتيا» الذين يقيمون عند الحدود الهندية، أن يجلبوا إلى تلك السوق التي تقام مرة في العام، الكثير من الأشياء الضرورية التي يحتاج إليها الرعاة، أولئك الذين يحيون في بيداء موحشة مرتفعة، ويقاسون البرد وشظف العيش، وهم ينتجون الكلأ لأغنامهم.

وتتكون السوق من نحو أربعين إلى خمسين خيمة، تطنب في مساحة صغيرة على مقربة من الأكواخ.. ويفد إليها الرعاة محملين بأصواف الغنم وجلودها، ويستبدلون بها الدخان والسكاكين والأمشاط والمرايا وأنواع الخردوات.. وفي مدى شهر واحد تتجمع لدى التجار أكداس الأصواف.. وفي خلال هذا الشهر تدب الحياة في القرية، ويزيد كل كوخ فيها وعاء أو كساء أو حلية أو صورة أو دمية أو مرآة!.

وابتهجت «لاي» أشد الابتهاج.. لقد ذهبت مع أزواجها إلى السوق وهي تمني نفسها بأن تبتاع أشياء جديدة كثيرة.. وإذا ما سعدت برؤية أحد من معارفها، مثل جوتام مثلاً، فستعرف منه أخبار أهلها.. هذه الآمال قد جعلت لعينيها بريقاً ولصورتها حدة، لقد ارتديت ثوبها الجديد خاطتها لها أمها في مناسبة زواجها، واشترت زيتاً لشعرها وصبت منه في تجاعيده فاسترسل ونعم ملمسه وراع منظره.

وهتف بها «تالو»:

– لاي..

وأجابته على الفور:

– ماذا؟.

– نحن الآن ذاهبون لنبتاع بعض الأشياء التي نحتاج إليها، إذا لم يكن لديك مانع.. هلا انتظرتنا هنا؟.

– حسنًا.. ولكن لا تنس المرآة..

وابتسم «تالو» وقال:

– بالتأكيد.. ولكن حذار أن تخبري أخي الأكبر..

وما كادت تلتفت في جلستها ناحية أحد مسالك الطريق، حتى رأت جوتام مقبلاً عليها.. إنه هو بعينه كما خلفته قبيل زواجها.. بوجهه السمح وعينيه الصافيتين، وسمرته المحببة وسحنته الشرقية وعوده الفارع وشبابه الغض..

وهللت كالطفلة هاتفة:

– جوتام..

وومضت عيناه بالفرح وصاح:

– لاي..

واقترب منها.. وجلس إلى جوارها صامتاً، يمنعه الخجل من الكلام.. ومرت خمس دقائق جهد خلالها كل منهما أن يسبق الآخر بالحديث.. أي حديث، وأخيراً قال الفتى:

– لاي..

– نعم؟

ثم ساد الصمت..

وعاد يقول:

– لاي..

– نعم؟.

– هل أنت سعيدة في حياتك الزوجية؟.

– وماذا يهم هذا.. ماذا يعني؟.

– إنه يعني كل شيء بالنسبة لي.

– ولكن عم تسأل؟.

– عن بيتك.. عن أزواجك..

وتأوهت «لاي»، ثم قالت:

– ربما كنت أحبهم.. بل إن علي أن أحبهم!..

– ماذا تعنين.. هل يضايقك أحد منهم؟.

– أجل.. الرجل الكبير يضربني مراراً.

– أوه.. هذا إذن سر المسحة الحزينة فوق وجهك الفتان.. إن برودة الهملايا سرعان ما ألقت ظلها وتركت أثرها في خديك وحول عينيك!.

– نعم، قد تكون هذه هي الحقيقة، لكن أنت.. هل أنت سعيد؟!..

– أنا؟..

– نعم..

– كيف أستطيع أن أكون سعيداً؟.. إن والديك وأفراد أسرتي ذهبوا معاً منذ شهرين نحو نجد آخر يبحثون عن المراعي..وبدا عليها الاهتمام لحديثه، وقالت له:

– وماذا بعد؟.

– وظهر لي على البعد «كيلاش».. جبل الذكريات وقد بدا لي تحت قرص الشمس مضرجاً بالدماء..

وقالت له بشغف:

– وهل تذكرتني عندئذ؟.

فقال في حماس:

– كنت أذكرك في كل وقت، في كل يوم.. كنت أرى ذلك الجبل عند الظهيرة يصطبغ بالحمرة. وفي الأصيل أراه يسيل بالذهب الاصفر، وفي المساء، عندما يرقص ضوء القمر فوق صفحته الثلجية، كان يبدو كقطعة ضخمة هائلة من السحاب، مكتسية بالزرقاء الصافية..

وعادت تستحثه على أخبارها بما هنالك بكل ما في جعبته:

– ثم ماذا؟..

– في النهار، وفي الليل، أظل محملقاً في ذلك المخروط الهائل.. جبل كيلاش، و..

– وماذا؟..

– وأتذكرك..

– ولكن لا ينبغي الآن أن تفكر في..

– هذا حق.. ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟ خداك المخمليان.. خصرك المرهف.. نظرات الحالمة.. شعرك الساحر.. كل شيء فيك يعيش معي في ذاكرتي، وفي ذهني..

– بل انس كل شيء..

– أجل إنني أحاول بالطبع، ولكن إذا لم أقو على نسيانك، فسآتي يوماً ما وأحملك بعيداً، بعيداً..

- بحق الوجود لا تتكلم هكذا كرجل مجنون!.. ألا تعلم أنهم ستة؟ ستة رجال؟!.. إنهم يقتلوننا شر قتلة!.. إنني يا جوتام أرجو أن أراك، وأن تأتي لتراني.. ويسرني أن أذكر لك أننا سنمضي الشهر القادم في كيلاش، وعلى التحديد في الجانب الشمالي منه، عند الجومفا.

- أفي تلك البقعة القصية؟.. إن ذلك يقتضي مسيرة يوم لكي أصل إلى هناك!

- لكنني أرجو حضورك..

أخذت لاي بعد ذلك، منذ غادرها رفيق الصبا حتى وصلت إلى الجومفا، تنتظر جوتام كأنها تتعجل الأيام..

فكلما هب نسيم المساء، خرجت من خيمتها ووقفت في ظلها تتطلع إلى المجهول، وتتوقع أن يأتي جوتام، وأن غيابه لن يطول.

وأخيراً جاء

- جوتام..

-لاي..

- ها قد جئت أخيراً، لقد كنت أنتظر مجيئك كل يوم!..

- نعم أتيت.. لأجلك.

وحملق في عينيها بشغف

– لما تنظر إلى هكذا؟!.

– أوه!.. هذا على الرغم مني.. إنك تبدين فتانة رائعة!..

– اتعود من جديد إلى مثل هذا الكلام؟!.

– أجل...

واندفع نحوها فجأة، واحتواها بين ذراعيه.

– لا، لا، لا،!.

وأسرعت تخلص نفسها من طوقه حتى أطلقها..

– دعينا يا لاي نذهب بعيداً، في مكان ناء، ناء جداً..

– هل أنت مجنون؟ إنني هنا في أحسن حال.. أما أنت فعليك أن تتزوج، فتنساني..

– أنت التي تقول لي هذا؟!.. إنني لن أستطيع أن أنساك، ثم إني.. إني..

وتحولت لهجته إلى نبرات حزينة، ثم قال:

– هل أستطيع أن أمكث معك الليلة؟.

– ما هذا الهراء؟.. إن هذا الاندفاع بغير تبصر ستكون عاقبته شراً مدمراً.. إنك تركب مركباً وعراً، خطراً..

– لا بأس يا لاي، كما تريدين، ولكن فكري جيداً في الأمر، فلعلك توافقينني على أن نذهب..

– لا.. أن على الإنسان أن يحتمل ما تأتي به الأقدار، وإن على أن أؤدي ثمن غلطتي..

– أصارحك القول لقد جئت وكلي أمل.. ومع ذلك فلن يدركني اليأس والملل.. سآتي إليك.. في العام، وسآمل أن آخذك..مرة أخرى!!..

وفي هذه اللحظة انفلت جدي صغير من الجداء والخراف وانطلق يعدو بين الشعاب.

وصاحت لاي مستغيثة.. إن فقدان رأس صغير من الغنم... رأس واحد، معناه سلسلة من العقاب والمهانة والصفعات ينزلها بها رجلها الذي لا يرحم.. الزوج الأكبر.. جزاء إهمالها.

وهدأ جوتام من روعها، وعدا وراء الجدي..

وقبل أن تزل أقدام الحيوان فوق المنحدر، انبطح الشاب فوق حافة الجبل، وأمسكت قبضته بإحدى أذنيه.

وصاحت «لاي» تحذره.. وحاول هو أن يستعيد توازنه ويعود أدراجه، ولكن الجدي المعلق في الهواء كان بكل ثقله يشد الرجل نحو الهاوية..

وذاب الجليد من تحته، ولم يكن هناك نتوء واحد يعترضه، أو يحول دون وقوع الكارثة..

وفي أقل من لمح البصر انجرف المسكين والجدي في يده، نحو وادي الموت السحيق..

وعصفت الريح.. وولولت المرأة.. وأطلقت الكلاب نباحاً كالبكاء.

وعادت المرأة المنكوبة وقد عقد الحزن لسانها وغشيت الكآبة عينيها، وصارت كلما اصطبغ الجبل بلون الدماء تحت قرص الشمس، أو اكتسى بالظلام الرهيب عند أول الليل تفكر في دم الشهيد الحبيب، وتتمتم محزونة والهة «جوتام.. جوتام»..

وتنكفيء عائدة غلى خيمتها التي لا يزيد ارتفاعها على ثلاث أقدام، وتلقى بجسمها المكدود الهزيل فوق فراشها.. وتظل مسهدة لا تجد راحة البال، ولا تعرف راحة البدن!..

لا تقنطي من رحمة الله، ولا تستسلمي لليأس.. هيا ابحثي عن زوجك..